انهيار الحضارة الغربية: دراسة سوسيولوجية (اجتماعية) مقارنة عند كل من شبنغلر وتوينبي

د. فاطمة سليم حماد الطراونة
جامعة البترا الاردنية
كلية الاداب والعلوم
قسم العلوم التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

الهدف من هو البحث الكشف عن مدى صحة آراء شبنغلر عن انهيار الحضارة الغربية في ما تعانيه الحضارة الغربية اليوم من تراجع وتفكك بعد أن كان تاريخها يزخر بالإنجازات والإبداعات، وتحليلها تحليلاً سوسيولوجيًا (اجتماعيًا) في ضوء الفكر الفلسفي للفيلسوف الألماني شبنغلر ومقارنتها مع فكر الفيلسوف الإنجليزي توينبي.

وقد خلص البحث إلى قرب استنتاج شبنغلر حول انهيار الحضارة الغربية إلى الصحة أكثر من استنتاج توينبي؛ فقد بلغت قمة الإبداع والتطور التكنولوجي وعولمة العالم بزعامة غربية. والدليل على صدق استنتاجه ظهور حضارات أخرى والتي بدأت بالظهور مثل اليابان والصين على سبيل المثال وأبدعت، وبدأت تصنع حضارة جديدة حضارة شرق أسيوية وهي المؤهلة للحلول محل الحضارة الغربية. في حين عارضه توينبي وبشدة في نظريته التحدي والاستجابة، إذ خلص إلى أنه نتيجة للتحديات التي تواجه أي حضارة تحصل الاستجابة وتكون الاستجابة بالإبداع، حينما تظهر أقلية مبدعة من القادة والمصلحين الغربيين ممن يستطيع إنقاذ الحضارة الغربية وإيقاف تدهورها، ومواجهة جميع التحديات التي تواجهها بالاستجابة المناسبة، لذلك فتوينبي يتفاءل بعودة وقوف الحضارة الغربية على قدميها ولا يقبل بتشاؤم شبنغلر.

المقدمة :

حققت الحضارة الغربية إنجازات متعددة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، وقطعت شوطاً كبيراً في تطورها وتقدمها ففاقت الحضارات الأخرى كالحضارة العربية الاسلامية التي حققت كثيراً من الإنجازات؛ إلا أنها بدأت بالتراجع. مما دفع بعض الفلاسفة الذين درسوا حياة الحضارات وتطورها إلى دراسة حال الحضارة الغربية ونضوجها ثم تنبؤهم بمصيرها كما تنبأ الفيلسوفان شبنغلر وتوينبي، إذ قدم كل منهما تحليله لمصير الحضارة الغربية من واقع فلسفته، ومن واقع الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الغرب، من هنا جاء اختيار هذا البحث الموسوم بـ "انهيار الحضارة الغربية: دراسة سوسيولوجية مقارنة عند كل من شبنغلر وتوينبي" للكشف عن مصير الحضارة الغربية في ضوء نظرية كل منهما.

مشكلة البحث

يسعى هذا البحث للكشف عن مدى صحة آراء شبنغلر حول انهيار الحضارة الغربية في ما تعانيه الحضارة الغربية اليوم من تراجع وتفكك بعد أن كان تاريخها يزخر بالإنجازات والإبداعات، وتحليلها تحليلاً سيولوسوجياً في ضوء الفكر الفلسفي للفيلسوف الألماني شبنغلر ومقارنتها بفكر الفيلسوف الإنجليزي توينبي.

أهداف البحث

يقْصِدُ هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- المقارنة بين الاستنتاج الذي خلص إليه االفيلسوفان الألماني أزولد شبنغلر والإنجليزي أرنولد توينبي حول انهيار الحضارة الغربية.
- التعرف على مصير الحضارة الغربية المعاصرة كما يراها شبنغلر.
- تفسير مدى صدق نظرية شبنغلر وتطابقها أو عدمه مع أوضاع الحضارة الغربية الآن، وهل هي تحتضر فعلاً أم لا.
- تحليل موقف أرنولد توينبي فيلسوف عصر شبنغلر من نظرية شبنغلر حول مصير الحضارة الغربية؟

تساؤلات البحث:-

يأتي هذا البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما مدى صحة الاستنتاج الذي خلص إليه االفيلسوفان الألماني أزولد شبنغلر والانجليزي أرنولد توينبي حول انهيار الحضارة الغربية؟

٢- ما هو مصير الحضارة الغربية المعاصرة كما يراها شبنغلر ؟

٣- هل سيكون مصير الحضارة الغربية في ظل التطور الحالي كما هو مصير الحضارات القديمة؟

٤- ما مدى صدق نظرية شبنغلر وتطابقها أو عدمه مع أوضاع الحضارة الغربية الآن، وهل تحتضر فعلاً أم لا؟

٥- ما هو موقف أرنولد توينبي فيلسوف عصر شبنغلر من نظرية شبنغلر حول مصير الحضارة الغربية في ضوء نظريته التحدي والاستجابة؟

أهمية البحث

يعد الحديث عن الحضارة الغربية في هذه الحقبة تحديداً واحداً من أكثر الموضوعات أهميةً، إذ بدأت الحضارة الغربية في التراجع وهي ستموت خاصة بعد أن بدأت باستنفاد طاقاتها، وغزو الحضارة الشرق آسيوية(الصين واليابان ودول جنوب وشرق آسيا) للغرب، إذ بدأت تحتل مكانة سياسية واقتصادية وعسكرية وتنافس فيها الدول الغربية الكبرى، مما جعل الفيلسوف شبنغلر يتنبأ بموت الحضارة الغربية، ولكن الفيلسوف توينبي خالفه الرأي وقال إن الحضارة الغربية لن تموت، لأنها ستستجيب للتحديات المحيطة بها، وستعاود نشاطها وإبداعها استناداً إلى نظرية التحدي والاستجابة، فما مدى صحة أراء الفيلسوفين حول مصير الحضارة الغربية الذي شغل بال الساسة وواضعي الإستراتيجية الغربية. إن هذا الأمر ما يحاول البحث تفسيره سوسيولوجياً عن طريق المقارنة بين آراء شبنغلر وتوينبي في مصير الحضارة

الغربية. ستتم معاينة حالة المجتمع الغربي وما يعانيه من تحديات عن طريق توضيح وتحليل سوسيولوجي يستند على نظرية شبنغلر وتوينبي التي ساهمتا في دراسة حالة المجتمع الغربي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تقدم نمطاً جديداً من البحث تركّز على نظريات التعاقب الدوري للحضارات وأثرها على المجتمعات ويضفي لمسة جديدة في حقل الدراسات الاجتماعية.

منهجية الدراسة:-

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي التاريخي المستند على وثائق وحقائق سوسيولوجية في بعض الأحيان، إذ توصلت عن طريقه إلى استنتاجات منطقية وموثقة استناداً إلى بعض المصادر والمراجع والأبحاث، إذ تم تحليل المعلومات، ومقارنتها مع بعضها البعض ونقدها ، للتعرف على الآراء ووجهات النظر حول الحضارة الغربية وتحليلها سوسيولوجياً في ضوء نظرية شبنغلر، لإلقاء الضوء على حالة المجتمع الغربي، والإجابة عن التساؤلات المطروحة آنفاً.

شبنغلر وتوينبي وتكوين فكرهما الفلسفي:-

لقد كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية أثر نفسي على مفكري الغرب، إذ شعروا فجأة أن حضاراتهم ليست في مأمن من أن يصيبها ما أصاب الحضارات الماضية، فوجهت هذه التجربة الكثير من مفكري الغرب لدراسة الحضارات والوقوف على أسباب انهيارها وسبل إنقاذها والبحث في ماهية الحضارات قديمها وحديثها للاعتبار منها، وهذا ما وجه كلًا من أوزولد شبنغلر وأرنولد توينبي لمحاولة تفسير سبب تطور الحضارات وانهيارها ومحاولة تفسير مستقبل الحضارة الغربية. ترى ما هو التفسير الذي خرج به كل من شبنغلر وتوينبي حول مستقبل الحضارة الغربية؟ وما مدى توافقهما أو اختلافهما حول الحضارة الغربية وانهيارها أو تطورها؟

ولد الفلسوف الألماني أوزوالد شبنغلر(١٨٨٠ – ١٩٣٦ م) في مدينة بلاكنبورغ في ألمانيا، وقد تلقى تعليمه الثانوي في مدارسها، وحين شبّ درس العلوم الطبيعية في جامعة برلين،

وبعد تخرجه رحل إلى مدينة ميونخ ليعيش بقية عمره في القراءة والكتابة، واستقر في مدينة ميونخ وعاش فيها حتى وفاته عام ١٩٣٦م[١].

وترك شبنغلر مجموعة من المؤلفات أبرزها كتابه انهيار الغرب الذي قُرئ كثيراً في أوروبا وأميركا، وسمي تدهور الحضارة الغربية أيضاً، وهو مجموعة من المقالات والمحاضرات التي تتحدث عن الحضارة، والتي ألفها في بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وأتمها عام ١٩٢٢ وصدر منها جزآن؛ وله كتاب: البناء الجديد للرايخ الألماني ألفه عام١٩٢٣م، الإنسان والصناعة الفنية، وكتب حول التاريخ العالمي والحضارات الأمريكية أما رسالته للدكتوراه فكانت عن هيراقليطس عام١٩٤٠، وله مؤلفات حول الاشتراكية وغيرها[٢].

أما الفيلسوف الانجليزي آرنولد جوزيف توينبي(١٨٨٩-١٩٧٥م) فقد ولد في لندن، وكان والمفكر الألماني أُوزولد شبنغلر من أهل الزمان الواحد، وهو صاحب نظرية التحدي والاستجابة، إذ خلُص إلى أن الحضارات رغم وجود عناصر الوحدة فيها فيما يسمى بالتشكيلة الحضارية لمجتمعات ما، إلاّ أن هناك تنوعًا للوحدات الصغيرة(الدول والمجتمعات) داخل هذه المنظومة الحضارية. وبداخل هذه المجتمعات الحضارية يوجد الإنسان المبدع. وهؤلاء المبدعون الكبار هم الذين أنشأوا الحضارات، أو أطلقوا شرارة قيامها، وهم بلا شك في صفهم المفكرين والمنظرين، الذين بنيت على أساس أفكارهم مجتمعات ضخمة[٣].

ومن أهم المؤثرات الفكرية التي ساهمت في نضوج الفكر الفلسفي لشبنغلر وتوينبي تأثرهما بفكر ابن خلدون[٤] الذي يُعد من أهم المؤرخين وعلماء الاجتماع الذين تأثر بهم شبنغلر وتوينبي. فقد كان لفلسفة ابن خلدون دور في فهم شبنغلر للتاريخ، إذ عد ابن خلدون التاريخ حقل تجارب، ومجالاً للتأمّل والاعتبار[٥]. ويمثل كل من ابن خلدون، وشبنغلر النظرية الدائرية العامة التي ترى أن ثقافة أي مجتمع تمر في دائرة تبدأ بالميلاد وتسير نحو النضج والاكتمال ثم تتجه إلى الشيخوخة، ولتعود مرة أخرى للرقي والتقدم. وقد تأثر توينبي بفكر ابن خلدون أنموذجاً للمفكر المسلم، وبفكر أوزولد شبنغلر أنموذجاً للمفكر المسيحي في العصر الحديث، الذي استقى توينبي منه فكره اللاهوتي[٦].

كان لفلسفة ابن خلدون دورٌ كبيرٌ في فهم توينبي للتاريخ وعلم الاجتماع الإنساني. فهو أول من دعا إلى ضرورة إنشاء علم الاجتماع الإنساني وظواهره، وقد أشار توينبي في مؤلفاته إلى أنه قد استفاد من ابن خلدون وتأثر بفكره مبيناً ذلك جلياً في كتابه "دراسة التاريخ"، إذ رأى أنّ ابن خلدون وضع فلسفة التاريخ، وهي عمل أبدعه عقل عظيم في أي زمان ومكان[٧]، وحرص على إيضاح فوائده فقال: "اعلم أن في التاريخ فناً غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية..." كما تأثر توينبي بفلسفة شبنغلر وهوالمؤثر الثاني الذي تأثّر به توينبي نتيجة لصدور عمله الرئيسي "تدهور الغرب" الذي بيّن فيه شبنغلر فلسفته حول مصير الحضارة الغربية[٨].

انهيار الحضارة الغربية: دراسة سوسيولوجية مقارنة عند كل من شبنغلر وتوينبي:-

تنبأ شبنغلر قبل قرابة قرن من الزمن أن الحضارة الواحدة تمر بثلاث مراحل تبدأ بالنشأة والتكوين ثم النضج والاكتمال، وتنتهي بالشيخوخة والانحلال، حتى الموت ولن تعود للحياة أبداً. فالتاريخ بهذا المعنى يكمن في تواريخ كل من هذه الثقافات، ذلك أن الثقافة الواحدة كائن حي، له طريقه واتجاهه الذي لا يمكن أن يحيد عنه، والذي ينتهي إلى الشيخوخة ثم الفناء. وإن الحضارة الغربية بكل إنجازاتها التي حققتها بتقدمها العلمي والتكنولوجي والصناعي تسير الآن نحو الركود والجمود، بعد أن أخذت تفقد مقومات حيويتها ونشاطها وقدرتها على الخلق والإبداع اللازم لاستمرارها، ما يؤدي في النهاية لاندثارها وفنائها، وانتقال دورها إلى آسيا التي تدل كل الشواهد على أن حضارة الجنس الأصفر، سوف تأخذ مكانها تماماً مثلما حدث حينما انتقل هذا الدور من اليونان إلى الرومان[٩]. وفي تحليله للحضارات أيضاً اعتمد شبنغلر التفسير الدوري للتاريخ في كتابه وألغى شبنغلر المقياس الأوروبي الخاص الذي طبق على العالم[١٠] ، بعد أن وجد التاريخ مسرحاً لكثير من الحضارات والأمم خارج أوروبا، كان للأمة العربية فيها دور بارز. كما خرج بتصور دوري لتطور الحضارات، إذ يتواجه الثقافة والحضارة وهما يتعاقبان في نظره[١١]، الثقافة تميز مراحل الصعود والارتقاء (الربيع، الصيف، الخريف) والحضارة تميز مراحل الانحطاط (الشتاء)، وهذا تصور تشاؤمي لكنه يتضمن تفسيرات للحضارة من وجهة نظره، ويرى شبنغلر من منظار تشاؤمي تجاه الغرب وكذلك

تجاه كل حضارة[١٢]. واعتبر أنّ المدنية العالمية والمقاطعة تمثلان الركيزة الأساسية لكل حضارة، واستعيض عن العالم، فالمدينة هي النقطة التي تتجمع فيها أسباب الحياة، ويقطن هذه المدينة نوع جديد من القبائل الرحالة غير المتمدنة، والتي تتعالى بشكل خاص على أبناء الريف، وهذا يشكل الخطوة الأساسية نحو النهاية[١٣]. والحضارة عند شبنغلر هي روح زاخرة بالإمكانيات، فيها الكثير من القوى في حالة فوضى، ويعتقد أن لكل حضارة من الحضارات، ولكل مرحلة من المراحل التي تمر بها (مراهقة، نضوج، انحطاط) ديمومة معينة[١٤].

وحول ارتباط الحضارة مع التاريخ يعتقد شبنغلر أن التاريخ ليس إلا حضارات لا رابط بينها ولا أسباب لقيامها، وإنما تخضع كل حضارة بمجرد قيامها لدورة حياة بيولوجية كأنها الكائن الحي، لها ربيع وصيف وخريف وشتاء، وأن شتاء الحضارة قد لا يعني اندثارها، وأن أفول الحضارة قبل الأوان قد يكون بسبب ظروف خارجية تقضي عليها. وأن مهمة فلسفة التاريخ هي فهم البناء المورفولوجي (**Morphological Building**) أو الشطر الخارجي للحضارة، فكل حضارة لها روح، وربيع الحضارة هو زمن بطولاتها وملاحمها، ودينها حينما تكون الحياة ريفية زراعية إقطاعية، ويأتي صيفها بقيام المدن إلى جانب الريف، والأرستوقراطية حول الزعامات القديمة، ويشهد الخريف التدفق الكامل لينابيع الحضارة الروحية وإرهاصات استنفادها المحتمل، وهو عصر نمو المدن، وازدهار التجارة، وتوسع الدول، وتحدي الفلسفة للدين. ويتصف الانتقال إلى الشتاء بظهور المدن العالمية وطبقة العمال (البروليتارية)، وقيام الدول الرأسمالية[١٥]، وحكومات الأثرياء، وتزايد الشك، وهو عصر الإمبريالية والاستبداد السياسي المتزايد والحروب المستمرة. ويعتقد شبنغلر أن دورة حياة الحضارة تستغرق نحو ألف سنة[١٦].

ويخلص شبنغلر أن لكل حضارة صيرورة واتجاهاً وزماناً ومصيراً وتاريخاً، وأن الحضارة أسيرة مصيرها، وأن اتجاهها هو اتجاه لا يمكن أن يقلب أو يعكس أو يُحوّل وذلك لأن هذا الاتجاه هو اتجاه رسمه المصير وحددته الصيرورة. ويرى أن لكل حضارة تاريخاً، وأن هذا التاريخ هو تاريخ النفس الأولية للأمة ذات الحضارة، وأنه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل، وذلك لأن كل حضارة هي تاريخ مستقل بذاته لا يتأثر أبداً بتاريخ أية

حضارة أخرى، وإذا ما تأثر فإنما لا يعبر أبداً عن جوهره، بل إنما يتمثل أشكالاً كاذبة تتنافى وأصالته الحقيقية وينشأ تمثله هذا عن ظروف معينة تحد من حرية عمل النفس الأولية للحضارة، لكن هذه النفس الأولية المحدودة الحرية تسعى حتى في مثل هذه الظروف أن طبع الحضارة المتأثرة بها بطابعها ويضرب شبنغلر الأمثلة على هذه الواقعة بالحضارة العربية التي تمكنت، حتى في اعتمادها القواعد الكلاسيكية في الهندسة المعمارية، أن تفرض طابعها على المباني الرومانية ابتداءً من عهد هادريان(١٧).

فالحضارة عند شبنغلر، لها شخصيتها وسماتها وصفاتها تعبر عن مسار الحضارة وثقافتها وتشبه حياة كل حضارة بتوالي الفصول الأربعة إذ ليس هناك حضارة عامة بل حضارات لكل حضارة فلسفتها وحياتها ونهايتها، تنطبق عليها مفاهيم الميلاد والفتوة والشيخوخة(١٨). في ضوء ذلك فالحضارة الغربية حققت أوج تطورها إلا أنها الان تشهد عوامل انهيارها كما يرى شبنغلر؛ فقد انعدمت فيها بوادر المساواة والعدالة الاجماعية وانتشر فيها الفساد الاخلاقي والتمييز العنصري، فالمجتمع الذي هو أساس الحضارة أي حضارة هو مجتمع غير متماسك في اوروبا فهو بعيد عن القيم الدينية والروحية والعادات والتقاليد فلا يقدر أن يحرم الخمر مثلا بإصدار قانون، فلم يستطع الغرب الأوروبي أن يعالج المجتمع من أسباب الفساد، ولم ينجح في أن يجعل للأسرة الغربية خصوصية ليخلق مجتمعاً متماسكاً، إذ تعاني الأسرة الغربية من أزمة حادة في مسؤولياتها ووظائفها، ولم تعد تلك المؤسسة الشمولية ذات الوظائف المتعددة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والتربوية بل دورها أصبح محدودا واضحت مفتوحة على مصراعيها وتتعرض لتغيرات اجتماعية عميقة إضافة إلى أن الحروب التي خاضها الغرب في الوطن العربي كحرب الخليج والربيع العربي، وافغانستان كلها، والأزمات الاقتصادية والسياسية التي حملت الغرب أعباءً جديدة، إضافة إلى سياسة الغرب وموقفهم من الصهيونية وتأييدهم لها، ومحاولتها فرض العولمة، إضافة إلى سباق التسلح كل هذه الأمور عجلت في قرب انهيار الحضارة الغربية مما يثبت صحة تنبؤ شبنغلر(١٩).

وعلى الرغم من أن نفسية شبنغلر تمثلت بالتشاؤم حول مصير الحضارة الغربية ونظرته التشاؤمية لها فقد ذكر أن الحضارة الغربية في مرحلة الاحتضار، إلا أن فلسفته التشاؤمية

حول الحضارة جاءت من إيمانه بوجود عوامل لاحتضار الحضارة الغربية بأن المجتمعات تقوم على الطبقية، وأن الطبقية في المجتمع وقناعته أن النبلاء هم الطبقة الوحيدة التي تمثل الأمة حق تمثيل في المجتمع وأن بقية الطبقات تمثيلها ناقص. وحتى طبقة الفلاحين على حد قول شبنغلر لا تمثل الأمة في شيء، وذلك لأنها في رأيه خارج التاريخ، والتاريخ لا يقوم إلا بالحضارة والفلاحين وطبيعتهم هي تنسيق ميلاد الحضارة[٢٠].

ويسوق شبنغلر أدلته بأن الحضارة الغربية بكل إنجازاتها التي حققتها بتقدمها العلمي والتكنولوجي والتطور الصناعي تسير الآن نحو الركود والجمود والانهيار، بعد أن أخذت تفقد مقومات حيويتها ونشاطها وقدرتها على الخلق والإبداع اللازم لاستمرارها، مما يؤدي في النهاية لاندثارها وفنائها، وانتقال دورها إلى آسيا التي تدل كل الشواهد على أن حضارة الجنس الأصفر سوف تأخذ مكانها تماماً مثلما حدث حينما انتقل هذا الدور من اليونان إلى الرومان، كما يرى شبنغلر أن الثورات والزلازل الاجتماعية في أوروبا بدأت تدق صروح النبالة، والمادية التي تسود المجتمع الأوروبي وسخرية أبناء المدن من تقاليد النبالة وأعرافها ويرون منها انحطاط الدولة[٢١].

وعلى الرغم من ان شبنغلر فسر مصير الحضارة الغربية وتنبأ بانهيارها في كتابه؛ إلا ان توينبي كان من أشد المعارضين لفلسفة شبنغلر وتنبؤه بمصير الحضارة الغربية، إذ رأى أن الحضارات في مراحلها تخضع للتحدي والاستجابة، وهو ما يرفضه شبنغلر[٢٢]. إذ نظر توينبي للأحداث التي تخص المجتمع الإنساني بأنها ذات جانبين جانب مادي، وجانب روحي كما إنه لم يقبل فكرة وجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، إنّما هناك مجموعة من الحضارات وليدة للبيئة والظروف، ويختلف توينبي بالفكرة التي اعتنقها بأن المجتمعات كانت لها صفات التحول الطبيعي من الشباب والنضج إلى الاضمحلال، مثلها مثل باقي المخلوقات الحية. لكن المجتمع ليس في حقيقته كائناً من هذا النوع[٢٣].

ويرى توينبي أن بالإمكان إيقاف تدهور الحضارات الإنسانية عن طريق بعث القادة والمنقذين والمصلحين القادرين على خلق الاستجابات المناسبة، ومواجهة التحديات التي

تعوق تقدم الحضارة، وذلك عن طريق ما يسميه بمبدأ الارتداد والعودة. غير أن هذه الأقلية المبدعة يمكن أن تتحول– في نظره– لأقلية مسيطرة تفرض وجودها بالقوة حينما تصل الحضارة أوج عظمتها، ما يعني أن قدرة الإبداع والخلق– وهي شرط التقدم عنده– لم تعد تتوافر في القادة، الأمر الذي تبدأ عنده الحضارة بالتدهور والانحلال[٢٤].

أن توينبي أعطى مؤشرات لانهيار الحضارة الغربية في الوقت الحالي استدل عليها بحقيقة تاريخية إحصائية، وهي أن العالم الغربي– أوروبا – كانت أكثرية في القرن التاسع عشر، وما تزال هي من أكثر بلاد العالم بالنسبة للكثافة السكانية، إذ إن نسبة المواليد عند العرب هي ضعف نسبة المواليد عند الغرب، وهذا مؤشر على انهيار الغرب الأوروبي. ويضيف توينبي قوله: "إن العالم الغربي ستفتك به المخدرات والخمور، في حين أن العالم الإسلامي لا يشرب الخمر على سبيل المثال"، إذا نظرنا إلى أمة شابة فتية يتضاعف سكانها كالأمة العربية الاسلامية، ونظرنا إلى الأمة الغربية التي تهرم مع الزمن، وكلما يأتي جيل يكون عدد سكانها أقل، وفي نفس الوقت تتعاطى المهلكات كالخمور والمخدرات، فبلا شك –على نظره السطحي الظاهري وإن كان له حقيقة– أن العاقبة ستكون لتلك الأمة ولن تكون لهذه الأمة، فالعالم الغربي يتفوق اليوم بأسباب واضحة أعظمها وأجلاها هو التفوق العلمي الصناعي التكنولوجي[٢٥].

لذلك رأى توينبي في فلسفة شبنغلر متشائمة تبشر بموت الغرب وأفول نجمه وتركّز على سلبيات المدنية الغربية وانهيارها. كما أشار توينبي في كتابه الحضارة في الميزان قال " أن شبنغلر يذهب إلى أقصى درجات الغموض فهو يرى الحضارات نشأت ونمت وتدهورت وانهارت طبقاً لتوقيت ثابت لايتخلف عن موعده، ولكنه لم يأت بتفسير لأي شيء من ذلك لأن الامر في رأيه لايعدو أن يكون قانوناً طبيعياً اكتشفه شبنغلر ويتعين عليك أن تأخذ هذا القانون قضية مسلّمة[٢٦]. ويرى توينبي– رداً على آراء شبنغلر هذه– رأى أنّ الحل حتى لا تنهار الحضارة الغربية هو الرجوع إلى الدين، إذ رأى أن الصراع الذي كان قائماً في الماضي بين الدين والفلسفة، وفي الأوقات المعاصرة بين الدين والعلم، ولا يعني ذلك التوفيق فيها، بل أن يسلم الدين للعلم، بشرط عدم الاستغناء عن الدين، فانتصار العلم على الدين كارثه وهو ما يمثله الصراع بين الحضارتين الشرقية والغربية[٢٧].

ويحدد توينبي موقفه من انهيار الحضارة الغربية بإعطاء أمثلة على حضارات كانت قد انهارت وعادت من جديد، فهناك حضارات انبعثت استجابة لتحدٍ بشري كالحضارة العثمانية التي انبعثت بفضل ازدياد التحديات البشرية التي كانت سائدة، ولقد قامت الحضارات نتيجة لنظرية التحدي والاستجابة، ولكنها تجمدت في استجابتها، وظلت على ما هي عليه. إن ما ذهب إليه شبنغلر من أن حضارة الجنس الأصفر هي الوريث القادم للحضارة الغربية، يبدو أنه يتمتع بقدر كبير من الموضوعية ذلك أن المقومات المادية والفكرية التي تتوافر لدى الصين بوجه خاص، تؤهلها للقيام بهذا الدور. فضلاً عن أن أي محاولة لوأد هذا الدور في المرحلة الراهنة محكوم عليها بالفشل. ذلك أن الصين تخطت ما يمكن أن نسميه (إجرائياً) بنقطة (الضعف القاتل)، كما تتمتع بقوى اقتصادية وعسكرية ومعنوية تكفل صمودها ونجاحها في صد تلك المحاولات[٢٨].

ونستخلص مما تقدم أن توينبي أوضح من شبنغلر في معالجة قيام الحضارات وانهيارها. إذ رأى توينبي بأن الأحوال الصعبة هي التي تولد الأعمال المجيدة. وهو يستدل على ذلك بالاستناد إلى نظريته التحدي والاستجابة، وقيامه بدراسة ستة وعشرين حضارة بقي منها ست حضارات، يرى بأن كل هذه الحضارات كانت تولد في قلب الأعمال الصعبة وما كان لحضارةٍ أن تولد إلا في قلب تحدٍ ما. هو يرى أنه إذا كانت حضارة ما متطورة على المستوى الحربي أو متطورة على المستوى الفني لا تعني أن هذه الحضارة في حالة ارتقاء، فهذا لا يعني الارتقاء بتاتاً، إنما معيار الارتقاء الحضاري هو التسامي، وهو يحلل معنى التسامي بأنه عملية إطلاق طاقات المجتمع من عقالها لتستجيب للتحديات التي تبدو بعد ذلك داخل النفس أكثر منها خارجها، أي أنها روحانية الطابع أعظم منها ماديةً وهذا الكلام إذا تلاحظون ينسجم كثيراً مع التحليل الديني في قراءة التطور والتغير الاجتماعي، ولكن المهم حقيقةً فيما يقول توينبي أيضاً بأن من يؤسس الحضارة هي أقلية مبدعة تمتلك طاقات في مواجهة التحديات وتنقل تجربتها إلى المجتمع، وتولد الحضارة. ويُعتبر توينبي من أكثر المعارضين لنظرة شبنغلر التشاؤمية، إذ يقرر أن الحضارات والثقافات الإنسانية تستطيع أن تجدّد حيويتها وتنهض من كبوتها على نحو ما، حين تصل للمرحلة الأخيرة من دورتها وهي مرحلة الانحلال والفناء. وهو

بذلك يتفق مع ما ذهب إليه بن خلدون في مقدمته الشهيرة، إذ قال بأن الحضارة الإنسانية حين تصل في دورتها إلى طور الشيخوخة والاندثار، تستطيع أن تبدأ دورة جديدة تقوم على أنقاض الحضارة المنهارة، وأن تمر بذات المراحل التي مرت بها. لذلك يرى توينبي على خلاف شبنغلر أن بالإمكان إيقاف تدهور الحضارات الإنسانية، عن طريق بعث القادة والمنقذين والمصلحين القادرين على خلق الاستجابات المناسبة، ومواجهة التحديات التي تعوق تقدم الحضارة وذلك عن طريق ما يسميه بمبدأ الارتداد والعودة؛ غير أن هذه الأقلية المبدعة يمكن أن تتحول– في نظره– لأقلية مسيطرة تفرض وجودها بالقوة حينما تصل الحضارة أوج عظمتها، ما يعني أن قدرة الإبداع والخلق– وهي شرط التقدم عنده– لم تعد تتوافر في القادة، الأمر الذي تبدأ عنده الحضارة بالتدهور والانحلال[٢٩].

يتبين مما تقدم أن توينبي خالف شبنغلر مستنداً إلى أنه نتيجة للتحديات تحصل الاستجابات وبإمكان الحضارة التي تصل إلى مرحلة الانهيار أن تنهض وتتطور، وتمر بنفس الدورة من الميلاد إلى الشيخوخة، وأن تبّدل بالتدهور التطور، وبالإمكان ظهور جيل من المصلحين والقادة المبدعين الذين سينقذون الحضارة الغربية بشرط عدم التخلي عن الدين فلابد من اقتران الدين والعلم. وعلي سبيل المثال يطرح توينبي مثالاً على الحضارة العربية الإسلامية وفقا لنظرية توينبي؛ تكمن في أن الأمة العربية قد مرت بعدة تحديات واستجابات أهمهما التحدي والاستجابة الأولى المتصلة ببدء ونشوء الحضارة العربية ومرحلة تكوين المجتمع، ومن ثم ظهور شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي غيّر المجتمع العربي برمته على مختلف الأصعدة، ونقله من حياة الجاهلية الأولى إلى حياة التطور، والعلم، والتحضر؛ وما تلا ذلك من تقدم في النظام العربي الإسلامي، وما شهده من تطور في مجالات الفكر والعلم والمدنية العربية إلى أن تم تطوير المجتمع وتغييره بالكامل[٣٠].

خلاصة البحث

خلص البحث إلى ما يلي:

١- أن شبنغلر تنبأ بتوفر عوامل انهيار الحضارة الغربية في كتابه تدهور الغرب، إذ إنه يرى أن قيام الحضارات ونموها ووصولها إلى القوة ثم الانحدار هو عملية بيولوجية شبيهة بما يجري للكائنات الحية. وأن توينبي خالفه استناداً إلى أنه نتيجة للتحديات تحصل الاستجابات وبإمكان الحضارة التي تصل إلى مرحلة الانهيار أن تنهض وتتطور، وتمر بنفس الدورة من الميلاد إلى الشيخوخة، وأن تبّدل التدهور بتطور، وبالإمكان ظهور جيل من المصلحين والقادة المبدعين الذين سينقذون الحضارة الغربية.

٣- التوصل إلى صدق نظرية شبنغلر حول انهيار الحضارة الغربية فقد بلغت قمة الإبداع والتطور التكنولوجي وعولمة العالم بزعامة غربية، إلاّ أن حضارات أخرى بدأت بالصعود ودول أخرى بدأت بالظهور مثل كوريا والصين على سبيل المثال وأبدعت، وبدأت تصنع حضارة جديدة حضارة شرق أسيوية، في حين تحتضر الحضارة الغربية بسبب عوامل وأسباب عديدة أشار لها شبنغلر في نظريته، اذ أصبح الغرب مرتعاً للإرهاب، والأزمة الاقتصادية والمخدرات والعنف والتفكك والتلوث والفساد الاخلاقي.

٤- تبين عن طريق المعلومات ومظاهر التقدم الذي حققته مجتمعات الصين واليابان ودول شرق وجنوب شرق آسيا، وبقراءة متأنية للسياسات أيضاً نجد أن القول بصحة ما توصل له شبنغلر هو استنتاج أقرب للصواب منه إلى الخطأ .

الهوامش والتعليقات:

(١) اوزوالد شبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشهباني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤، ص٩.

(٢) فؤاد كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل ، بيروت١٩٩٣، ص ١٣٨؛ محمد عزيز نظمي سالم، جدلية التاريخ والحضارة، ص٢٩.

(٣) نيفين جمعه، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩١)، ص١٩-٢٠؛ طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد(وضع بالفرنسية)، نقله للعربية محمد عبدالله عنان، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٢٥، ص ٥٨، ٧٠.

(٤)مؤرخ عربي مسلم من تونس (١٣٣٢-١٤٠٦م) ترك تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم. هو مؤرخ وفيلسوف ومؤسس علم الاجتماع وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم. وقد سبقت آراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالعالم الألماني شبنغلر، وتوينبي موضوع الدراسة.(انظر: ابن خلدون، ١٩٨٨ ؛ لابيكا، ١٩٨٠م؛ لاكوست، ،١٩٨٢م).

(٥) طه حسين، المصدر السابق، ص٥٨-٧٠.

(٦) عبدالباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة،بيروت ١٩٨١، ص٥٤.

(٧) المصدر نفسه، ص٥٤.

(٨)ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان ، ترجمة أمين محمود الشريف ومراجعة محمد بدران، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨، ص ١٨.

(٩) شبنغلر، تدهور الحضارة، ص٣١.

(10)Encyclopedia of Philosophy, Spengler by: W.Dray, vol-3, PP.527-530.

(١١) فؤاد كامل، الفكر الفلسفي المعاصر ، ص ١٤٣؛ رولان بريتون، جغرافيا الحضارات، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت ١٩٩٣، ص٢٣-٢٤.؛ لبان .ج.ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص٢٨٦-٢٨٨؛ علي الجابري، العرب والمنطلق الفلسفي للتاريخ، منشورات اللجنة، طرابلس، ٢٠٠١، ص٢٢٢.

(١٢) رولان بريتون، المصدر السابق، ص٢٣-٢٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص٢٢٦-٢٢٧؛ كولن ولسون، سقوط الحضارة، ترجمة أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب، بيروت ١٩٨٧، ص١٤٠-١٤٦؛

Eduard barbarian, Civilization and the historical Progress publishers, Moscow, 1983, pp 57-59.

(١٤) نيفين جمعة، فلسفة التاريخ، ص٦٣-٦٥؛ قسطنطين زريق، مطالب المستقبل العربي هجوم وتساؤلات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ص١٤٦-١٤٧.

(١٥) تُشكل الرأسمالية نظاماً طبقياً تتميز فيه العلاقات الطبقية بالصراع ، إذ يجني الرأسماليين الربح عن طريق تملّكهم حصيلة عمل العمال وقلة أجور العمال، ولذلك حصل الصراع بين الطبقتين الرأسمالية والعمال، مما هيأ إلى ظهور الاشتراكية على يد ماركس.انظر: أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٦٧-٧٠.

(١٦) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،ص١٤٤

(١٧)هادريان (٧٦-١٣٨ق.م)، والمعروف بالانجليزية باسم ادريان ، وكان امبراطورا روما في الفترة من ١١٧-١٣٨. كان هادريان هو الثالث من سلالة الاباطرة الانطونيين. انظر: أوزوالد شبنغلر، تدهور الحضارة، المقدمة، ص١٢.

(١٨) محمد عزيز لطفي سالم، جدلية التاريخ والحضارة، ص٢٩٧.

(١٩) نيفين جمعة، فلسفة التاريخ، ص٦٣-٦٥؛ قسطنطين زريق ، مطالب المستقبل، ص١٤٦-١٤٧.

(٢٠) اوزوالد شبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ص١١.

(٢١) المصدرر نفسه، ص١١.

(٢٢) السيد امين شلبي، نظرات في ارنولد توينبي، دار قباء للنشر، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٤٣-٤٥ ؛

Arnold Toynbee, in the Encyclopedia of Philosophy, Editor in chief Paul Edwards, London ,p,20.

(٢٣) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل وراجعه احمد عزت عبدالكريم، الادارة في جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٤،ص ١٥.

(٢٤) رولان بريتون، المصدر السابق،ص٢٣-٢٤.

(٢٥) المصدر نفسه، ٣٢٣-٣٢٥.

(٢٦) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٨.

(٢٧) أحمد صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢٧٧-٢٧٩، رأفت الشيخ، فلسفة التاريخ، ص٢٠٠.

(٢٨)أوزوالد شبنغلر، تدهور الحضارة، المقدمة، ص١٢.

(٢٩) ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ص ١٨.

(٣٠) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ،ص ١٥.

ثبت بأهم المراجع:

أ- العربية

١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخه المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر"، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار،ط١، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٨).

٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون،تحقيق درويش الجويدي، ط٣، المكتبة العصرية، بيروت، (٢٠٠١).

٣- اشبنغلر، اوزولد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة احمد الشيباني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٤).

٤- أبو السعود، عطيات، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، (١٩٩٧).

٥- ب، شيتولين، النظرية العلمية والطبيعية والمجتمع والمعرفة، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨١).

٦- بدر، أحمد، تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، عالم الفكر، أبريل، العدد الرابع، (٢٠٠١).

٧- بركات، سليم ، فلسفة الحضارة والتاريخ، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (١٩٩٠).

٨- توينبي، أرنولد، دراسة للتاريخ، ترجمة محمد شبل، ومراجعة محمد شفيق غربال، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، القاهرة، (١٩٦٩).

٩- توينبي، أرنولد، تاريخ البشرية، نقله للعربية نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٨٦).

١٠- زريق، قسطنطين، مطالب المستقبل العربي هموم وتساؤلات، دار العلم للملايين، (١٩٨٣).

١١- زريق، قسطنطين، في معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨١).

١٢- شبل، محمد فؤاد، دراسة للتاريخ لأرنولد توينبي، تراث الإنسانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩١).

١٣- شبل، فؤاد، توينبي مبتدع المنهج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥).

١٤- الشرقاوي، عفت، أدب التاريخ عند العرب فكرة التاريخ نشأتها وتطورها، دار الطليعة، بيروت، (١٩٧٣).

١٥- الشيخ، رأفت، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٩٨٨).

١٦- صبحي، أحمد، في فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٩٤).

١٧- عبيد، إسحاق، معرفة الماضي من هيردوت إلى توينبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨١).

١٨- علم الدين، نيفين جمعة، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩١).

١٩- عمر،عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر(١٨١٥-١٩١٩)، دار المعرفة، الاسكندرية، (٢٠٠٠).

٢٠- غدنز،أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (٢٠٠٥).

٢١- فهد، بدري محمد، الحضارة والفكر، دارالمناهج للنشر، عمان، (٢٠٠٢).

٢٢- كامل،فؤاد، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، (١٩٩٣).

٢٣- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، (١٩٧٩).

٢٤- كولينجوود، جورج، فكرة التاريخ، ترجمة محمد خليل، القاهرة، (١٩٦٨).

٢٥- لابيكا ،جورج، السياسة والدين عند ابن خلدون، تعريب موسى وهبي وشوقي الفارابي، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٠).

٢٦- لاكوست، إيف، ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، (١٩٨٢).

٢٧- لطفي،عبد الحميد، علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت، (١٩٦٥).

٢٨- مؤنس، حسين، التاريخ والمؤرخون، دار الفكر، القاهرة، (١٩٨٤).

٢٩- ماهر وعطيتو، محمد و حربي، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (٢٠٠٠).

٣٠- المطيعي، لمعي، أرنولد توينبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، (١٩٦٧).

٣١- الملاح، هاشم، أرنولد توينبي وصدام الحضارات، دراسات فلسفية، العدد الثالث، (٢٠٠١).

٣٢- ولسن، كولن، سقوط الحضارة، ترجمة أنيس زكي، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨١).

٣٣- ويدجري، ألبان، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز حامد، القاهرة، (١٩٧٢).

ب- الأجنبية

1- **Arnold Toynbee, in the Encyclapedia of Philosophy, Editor in chief Paul Edarads, London,(1967).**

2- **markarian, Eduard, Civilization and the historical Progress publishers, Moscow, (1983).**

Abstract

The goal of this research is to disclose the extent of authenticity of the views of German Philosopher and Historian Oswald Spengler on the collapse of Western civilization compared to the views of British Historian and philosopher Arnold Toynbee. Western civilization is currently undergoing retreat and divisiveness after a long history of achievements and innovations, which are analyzed from the sociological standpoint in light of the philosophic thought of German Philosopher Spengler and compared with the thought of British philosopher Toynbee.

The study concluded that the views of Spengler on the collapse of Western civilization were more realistic than the views of Toynbee. Western civilization has reached the peak of technological innovation and development and the privatization of the world. The evidence of the authenticity of his conclusion was the appearance of other civilizations, such as the yellow civilization which is now rising. Countries like China and Japan are rising and they have been innovative and are making a new civilization, an East Asian civilization.

This East Asian civilization is qualified to replace Western civilization, according to Spengler. Nevertheless, Toynbee is strongly of the opposite view and argues his case according to his Challenge and Response Theory. Toynbee concluded that as a result of the challenges facing any civilization, a response is created in the form of innovation. An innovative minority of Western leaders and reformers appear. They can save Western civilization, stop its decline, and cope with all the problems which the Challenge and Response Theory is facing by appropriately responding to the challenge. Therefore,

Toynbee is optimistic that Western Civilization can stand on its feet once again and does not accept the pessimism of Spengler.